



+ آباؤنا القديسون

القديس غريغوريوس بالاماس

تعيّد الكنيسة المقدسة في الرابع عشر من تشرين الثاني لتذكّار أبينا الجليل في القديسين غريغوريوس بالاماس العجائبي رئيس أساقفة تسالونيك (اليونان)، الذي عاش في القرن الرابع عشر، وقد تميّز بالترعة الرهبانية الهدوءية التي تهدف إلى ضمان وحدة الذهن والقلب: الذهن في القلب، وذلك عبر التلاوة المتواترة لصلاة يسوع، «يا ربي يسوع المسيح، يا ابن الله، ارحمني أنا الخاطيء». وهذا يؤدي بمختاري الله إلى معاينة النور الإلهي غير المخلوق الذي يمكن رؤيته بعين الجسد، كما حصل مع التلاميذ في جبل تابور.

وُلد غريغوريوس في القسطنطينية عام ١٢٩٦ من أبوين مهاجرين من بلاد الأناضول، تقيين جداً، مواظبين على الصلاة مع سائر أفراد العائلة، حتى أنهما تقدّما في السن انتقلا إلى ديرين حيث عاشا حياة رهبانية.

بعد وفاة أبيه الذي كان عضواً في مجلس شيوخ الإمبراطور أندرونيكس الثاني، تعهده الإمبراطور مع إخوته فأتيح له أن يحصل قدراً وافراً من العلم. برع غريغوريوس، بفضل صلواته الحارة لوالدة الإله، في الفلسفة ولا سيما منطق أرسطو.

لم تُغرّه الوظيفة، بل فضّل الرهبنة، خاصة أنه كان على اتصال مع رهبان الجبل المقدس، آثوس. تروّض على أتعاب الفضيلة وهو ما زال في المدينة، وسلك طريق الفقر حتى ظن الكثيرون أنه جنّ. وكان معلّمه الروحي الأسقف ثيوليبِتوس الذي ربّاه على يقظة القلب والصلاة النقية. ولما عزم على الالتحاق بالدير، استشار أخاه الأكبر، فقرّرا أن يذهب كل أفراد العائلة إلى الأديار، فذهبت أمه وأختاه إلى دير في القسطنطينية، أما هو وأخواه فذهبوا إلى جبل آثوس إلى دير فاتوباذي وكان ذلك عام ١٣١٦.

أمضى غريغوريوس في هذا الدير، وتحت إرشاد الراهب نيقوديموس، ثلاث سنوات في الصلاة والصوم والسهر وذكر والدة الإله. وبعد وفاة أخيه الأصغر والراهب نيقوديموس انتقل إلى دير اللافرا الذي أسسه القديس أنثاسيوس الآثوسي في القرن العاشر. بقي هناك أيضاً ثلاث سنوات قضاها في النسك الشديد والجهاد. فقد حارب النعاس حتى أنه بقي ثلاثة أشهر بلا



+ آباؤنا القديسون

نوم. بعدها خرج إلى البرية للحصول على مزيد من الهدوء، واستقر مع ناسك يُدعى غريغوريوس اشتهر بالهدوءية فأخذ عنه سر الصلاة العقلية. اكتسب بالاماس أيضاً التواضع العميق ومحبة لله وللقريب لا توصف. كما تدرّب على تركيز العقل في القلب وممارسة صلاة يسوع. وكانت عيناه تدرقان الدموع دوماً.

بعد سنتين أو ثلاثة، وبسبب غارات القراصنة الأتراك، غادر بالاماس مع عدد من الرهبان إلى تسالونيك (١٣٢٥). وهناك شارك في حلقة روحية سعى خلالها إلى نشر ممارسة صلاة يسوع بين الناس أيضاً، من حيث هي الأداة الأولى لتفعيل نعمة المعمودية. سيم كاهناً عام ١٣٢٦ وانتقل إلى العيش في مغارة في منطقة فاريا *Varia*. قسى على نفسه كثيراً، فكان لا يخرج من المغارة إلا السبت والأحد ليشارك في الأسرار الإلهية ويرشد الإخوة. بسبب نسكه عانى هناك من مرض في أمعائه، وكان نموذجاً للحياة الرهبانية يقتدي به الكثيرون. بعد خمس سنوات عاد إلى جبل آتوس وسكن في منسك على مسافة ساعة من المشي من دير اللافرا في أعلى الجبل. وهناك انصرف إلى الصلاة فبلغ معاينة الله في نور الروح القدس والتأله، هذا النور مثل النور الذي ظهر في جبل ثابور يوم تجلّي الرب.

وقد كتب غريغوريوس خبراته الروحية لكي يستفيد منها المؤمنون. من كتاباته المهمة ثلاثيته في الدفاع عن الهدوءية. وذلك بعد الصراع الكبير الذي نشأ بسبب أحد الرهبان، برلعم، الذي ادعى أنه لا يمكن للإنسان معاينة النور غير المخلوق عن طريق صلاة الذهن في القلب والتركيز والإيقاع الجسديين الموافقين لها. وقد التأم مجمعان في القسطنطينية عامي ١٣٤١ و١٣٥١ وأدانا برلعم وكل من يخالف رأي غريغوريوس.

عام ١٣٤٧ انتخب غريغوريوس أسقفاً على تسالونيك.

عام ١٣٥٣، فيما كان ذاهباً عن طريق البحر إلى القسطنطينية، اعترضه القراصنة الأتراك وأخذوه أسيراً إلى آسيا الصغرى حيث عاش في أحد أديار نيقية إلى أن افتداه بالمال أحد الأتقياء الصرب.



+ آباؤنا القديسون

عاد غريغوريوس إلى تسالونيك وبقي يرفعى خراف المسيح هناك إلى أن رقد بالرب في الرابع عشر من تشرين الثاني عام ١٣٥٩، يوم عيد الرسول فيليس الذي قال لثنائيل «تعال وانظر» (يوحنا ١: ٤٦) لقد وجدنا الرب، وعائنا.

أعلنت قداسة القديس غريغوريوس في مجمع مكاني في القسطنطينية عام ١٣٦٨ وقد وصفه هذا مجمع بأنه «الأعظم بين آباء الكنيسة». فبشفاعته اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.